الحديدة بين الأمس واليوم

هي المدينة الأجمل والأروع والأكبر بين المدن الرئيسة المطلة على البحر الأحمر، تعد عاصمة محافظة الحديدة، وأم قرى ومدن تهامة الغربية، ومن أهم المدن التجارية لوجود أكبر ميناء فيها كمنفذ بحري للجمهورية، ولوجود مطار كبير فيها كمنفذ جوي للبلاد.
تقع مدينة الحديدة على البحر وعلى مساحة تفصل بين وصاب وادي سهام في الجنوب ووادي سردود في الشمال عندما تفيض مياه سهولها إلى البحر الأحمر.
كما تبعد مدينة الحديدة بحوالي ٢٥٦كم إلى الغرب من مدينة صنعاء العاصمة اليمنية.

الحديدة خلال حقب من التاريخ

آدم يحيى احمد

تاريخ الحديدة

لكل مدينة تاريخ حافل كشاهد على عظمة الإنسان اليمني وحضاراته العريقة، وهي لاتزال باقية، الكثير من هذه الشواهد التي تشكل تراث وموروثا شعبيا لأبناءاليمن . وتهامة من تلك المناطق التي تقع مدينة الحديدة في بطن سهولها الممتدة من محاذاة الجبال في الشرق إلى ساحل البحر الأحمر في الغرب.

بحسب المصادر المتوفرة نستطيع حصر تاريخ الحديدة مع بداية القرن الثامن الهجري.

يقول بن بطوطة في ٧٢٥هـ إنه وهو في طريقه إلى زبيد مر بمرسى الحادث ويعني (حديث) لم يتوقف فيه وواصل السير إلى مدينة زبيد، والمرسى هو لقوارب الصيد إشارة إلى الحديدة.

يقول الخزرجي ٧٩٧هـ إن الحديدة (ساحل) على وادي سهام وجاء ذكر الحديدة مع ذكر الجبري.

وفي ٨٣٣هـ ذكر ان الأمير فخر الدين السنبلي تقدم إلى الحديدة ليسيطر على خروج سكانها عن الوالي وتمردهم.

وفي ٨٥٩هـ خرج الملك المجاهد علي بن طاهر إلى الحديدة كما ذكر بن الديبع وفي هذا العام أوفد شيخ الحديدة يحيى بن عمر الشابتي إلى الملك المجاهد وأمره أن يستقر في بيت الفقيه.

وفي ٩٢٠هـ وصف أبو مخرمة الحديدة قائلاً: إنها قرية في ساحل البحر الأحمر.

وهذه الحقائق تثبت أن الحديدة ظهرت في بداية القرن الثامن الهجري كمنطقة صيد ثم كمرسى في ٨٥٩هـ ثم قرية وميناء صغيرة ٩٢٠هـ.

وحول تسميتها لا توجد مصادر تؤكد الروايات التي ورد فيها أن امرأة أقامت في المكان وأسست الحديدة نسبة إلى اسمها الحُدْيدية وبعدها حذف الياء الأخيرة وتحول الاسم إلى الحديدة.

تعرضت مدينة الحديدة في ٩٢٢هـ لهجوم من قبل رئيس الحملة المملوكية المصرية حسين الكردي فهدم منازلها ونهب أخشابها وبنى بها مسجد في جزيرة كمران.

في عام ١٢٦٤هـ كانت الحديدة منطلقاً للأتراك لصعودهم إلى صنعاء ثم تحولت إلى ميناء.

وما يؤكد قدم الحديدة وجود قريتين مغمورتين في قاع البحر مبنية من الأحجار شمال المدينة تسمى الأولى (الدارة) والأخرى (عرق عمر) ما يدل على وجود سكان في المدينة من قبل.

وفي العام نفسه ١٢٦٤هـ استولى الإمام محمد بن يحيى المتوكل على الحديدة، ثم عاد الأتراك لطرده منها في العام نفسه.

وكانت الحديدة قد بدأت الحركة العمرانية فيها تتطور منذ عام ١٢١٤هـ عندما قام الشريف حمود الخيراتي بعمارة باب مشرف وترميم سور المدينة الذي كانت له أبواباً عدة (١) باب مشرف (٢)

باب اليمن (٣) باب الستر (٤) باب النخيل من الجهة الغربية الموازي لباب مشرف في الشرق، وباب الستر في الشمال موازي لباب اليمن في الجنوب. ولم يتبق من الأبواب الأربعة سوى باب مشرف في الشرق.

يقول المستشرق الفرنسي روهيريكل إن الحديدة في ١٢٥٧هـ شهدت ازدهاراً عمرانياً فكان نصفها مبني من الأحجار والطوب ونصفها من القش وسكانها بين ٣٠ ـ ٤٠ ألف نسمة.

وقال محمد زبارة في كتابه أئمة اليمن في القرن (١٤) إن سكان الحديدة بلغ ثلاثين ألف نسمة موزعين على عشرة أحياد تقريباً، وتوجد في الحديدة مستشفى بدون علاج + حديقتين وحوالي ٥٠٠ دكان وحوالي ألف منزل وأربعون مسجداً.

في ١٣٠٩هـ بنى الشريف الأمير عبدالله بون باشا قصراً هدمه بعد ذلك الأمام احمد ١٣٨١هـ لأجل إعادة بنائه ولم يتم ذلك، ولكن كان قد بنى في ١٣٧٣هـ قصراً اسماه دار النزهة أو التنزه.

من ماضٍ مظلم إلى مستقبل مشرق

تعرضت مدينة الحديدة للغزو أكثر من مرة ومنها في زمن الصراع السياسي الأوروبي من قبل الانجليز من ١٩١٨م ـ ١٩٢٠م.

وفي ١٩٣٢م ـ ١٩٣٤م تعرضت الحديدة لغزو من قبل الجيش السعودي أثناء الحرب التي دارت بين قوات الإمام يحيى والملك عبدالعزيز وانتهت باتفاق الطائف، التي تحولت إلى حيز التنفيذ برحيل الجيش السعودي الذي كان قد وصل إلى مشارف زبيد جنوب الحديدة وكان قد سبق وأن شرع الفرنسيون في بناء سكة حديد من ١٩٠٩م ـ ١٩١٢م غير أن الحكومة العثمانية لم توافق.

وبعد حركة ١٩٥٥م اضطر الإمام إلى إبرام اتفاقيات مع الروس والصين لبناء ميناء الحديدة وطريق الحديدة صنعاء اللذين أنجزا في عام ١٩٦٠م.

وكان لهذين المشروعين في الحديدة دور كبير في دعم الثورة ضد الإمام في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م.

وكانت الحديدة قد بدأت الحركة الاقتصادية فيها عام ١٢٠٤هـ بتصدير البن وجذبت التجار إليها الذين توافدوا إلى الحديدة وأزدهرت التجارة بواسطة الحضارم والهنود اللذين كان لهما الريادة في التجارة.. وفي ١٢٥٧هـ كانوا يستوردون القطن والحديد من واردات الحبشة.

في ١٢٩٢هـ أنشئ رصيف صغير للسفن الشراعية على الساحل المقابل لحارة اليمن المجاورة لحارة السور القديمة ووصلت صادرات اليمن من البن عام ١٢٩٨هـ من ميناء الحديدة أكثر من مليون جنيه.

وخلال المدة من ١٢٩٨هـ ـ ١٣٣٥هـ ازدهرت الحركة الاقتصادية في الحديدة وكانت الصادرات من البن والجلود والحبوب والملح والحصير وغيرها، وبدأت بعد ذلك تتقلص الحركة الاقتصادية بسيطرة الأعمال على التجارة بحيث كانوا هم الوكلاء الوحيدين.

ومن ابرز رجال الأعمال الذين كانوا يتخذون من الحديدة مركزاً تجارياً لهم:

١/ الجبلي كان وكيل الإمام بالإضافة إلى تجارته في الجلود والبن والملح والحبوب واستيراد السكر والأرز والدقيق.
٢/ الوجيه ـ وهو توءم الجبلي.
٣/ نمراته ـ فرنسي كان تاجر للجلود والبن وصراف.
٤/ تنك ـ انجليزي كان تاجر للجلود والبن وتحويلات.
٥/ باعبيد ـ تجارة متنوعة.
٦/ سالم باشماخ ـ تجارة متنوعة.
٧/ الصدام ـ تجارة متنوعة.
٨/ المعجم ـ تجارة متنوعة.
٩/ فقيرة ـ تجارة متنوعة.
١٠/ واستر ـ هندي تاجر أقمشة وعطور

وبعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م عادت الحياة التجارية إلى مدينة الحديدة من جديد بعد عودة أصحاب رؤوس الأموال من خارج اليمن وبدأوا في الاستثمار والبناء ومنهم الحاج المرحوم سعيد الاصبحي الذي كان له دور كبير في اعمار الحديدة وتغيير ملامح المدينة إلى الشكل الحضاري.

ومع حدوث هذا الانفتاح تطورت المدينة وشهدت قفزة كبيرة في ١٩٧٤م ـ ١٩٧٧م وبدأت في التوسع السكاني من خلال هجرة الناس من الريف إلى مدينة الحديدة.

وإذا ما قارنت بين ماضي المدينة وحاضرها ستجد فارقاً كبيراً جداً لا يوجد وجه للمقارنة وعلى سبيل المثال:

١/ في مجال الطرقات كان لا يوجد في الحديدة سوى شارعين فقط.. ولا تربط المدينة أي طرق مع باقي المدن والمناطق اليمنية.

٢/ واليوم تشهد المدينة تطوراً في هذا المجال.. حيث ان شوارع المدينة الرئيسة الفرعية المسفلتة والمرصوفة منها بالأحجار تكاد تصل إلى مئات الكيلومترات.

٣/ كان لا يوجد مطار، وفي الحديدة أكبر المطارات في الجمهورية تستقبل أكبر الطائرات العملاقة.

٤/ كان يوجد مستشفى لا يوجد فيه سوى طبيب واليوم توجد ثلاث مستشفيات حكومية وعشرات المستوصفات إضافة إلى المستشفيات الخاصة.

٥/ كان قبل الثورة يوجد البنك السعودي للتحويل واليوم في الحديدة عشرات المصارف.

٦/ كانت الحديدة محرومة من شبكات مياه الشرب ولا توجد سوى خزانات موزعة على بعض الأحياء، واليوم شبكات المياه والصرف الصحي تغطي جميع أحياء المدينة.

٧/ كانت الحديدة لا توجد فيها مصنع واحد سوى معامل الحياكة اليدوية والمصابغ المحدودة واليوم عشرات المصانع.

٨/ كانت قبل الثورة لا يوجد في الحديدة سوى مدرستين واليوم عشرات المدارس الأساسية والثانوية والمعاهد الفنية والتقنية بالإضافة إلى جامعة الحديدة التي تضم عشر الكليات النوعية.

٩/ كانت الحديدة محرومة من خدمات الهاتف والكهرباء ولا يوجد فيها من هذه الخدمات إلا ما يلبي حاجة الأسرة المالكة وبعض الميسورين.

واليوم توجد مئات الآلاف من الخطوط الهاتفية ومحطة بخارية بالإضافة إلى محطات تغذية للكهرباء تلبي حاجة سكان المدينة التي توسعت بشكل كبير.

وفي الجانب الإداري

كان يدير الحديدة وضواحيها الإمام أو أحد أبنائه أو من ينوبهم. فبعد رحيل الأتراك وتولي الإمام الحكم والسيطرة على مناطق تهامة كانت الحديدة هي مقر الأمير والنائب قبل الثورة.

الأمراء:

١) الأمير سيف الإسلام محمد بن يحيى حميد الدين الذي توفى غرقاً في ١٣٥٠هـ
٢) الأمير سيف الإسلام عبدالله بن يحيى ١٣٥١ ـ ١٣٥٢هـ
٣) الأمير سيف الإسلام الحسين ١٣٥٠ ـ ١٣٥١هـ
٤) الأمير سيف الإسلام عبدالله بن احمد الوزير ١٣٥٣ ـ ١٣٥٧هـ

النواب

١) علي حسين العمري ١٣٥٧هـ ١٣٦٣هـ.
٢) حسين عبدالله الحلالي ١٣٦٣هـ ١٣٦٧هـ.
٣) محمد حسين العمري ١٣٦٧هـ – ١٣٧٤هـ.
٤) محمد احمد باشا ١٣٧٤ – ١٣٧٩هـ
٥) يحيى عبدالقادر ١٣٧٩ – ١٣٨٢هـ

المحافظون:

وبعد الثورة تعاقب على الحديدة محافظون منذ ١٩٦٣م وحتى ٢٠٠٦م وهم:

١) محمد احمد المطاع ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م.
٢) أمين حسن ابوراس ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م.
٣) عبدالكريم العرشي ١٩٦٤ – ١٩٦٥م.
٤) عبدالله الضبي ١٩٦٥ – ١٩٦٧م.
٥) سنان أبو لحوم ١٩٦٧ – ١٩٧٤م.
٦) علي الربيدي ١٩٧٤ – ١٩٧٨م.
٧) علي أبوالرجال ١٩٧٨ – ١٩٨٢م.
٨) عبدالله الجمالي ١٩٨٢ – ١٩٨٥م.
٩) عبدالرحمن محمد علي عثمان ١٩٨٥ – ١٩٩٤م.
١٠) محمد الخاوي ١٩٩٤ – ٢٠٠١م.
١١) محمد شملان ٢٠٠١– ٢٠٠٦م.

وقد كان لبعض المحافظين الدور الكبير في تطور المدينة والنهوض بها وفي مقدمة المحافظين الذين تولوا قيادة الحديدة كمحافظة وتطور المدينة عاصمة المحافظة العميد محمد صالح شملان الذي استطاع ان يجد مئات المشاريع الحضارية للمدينة حتى غدت عروس البحر الأحمر بمناسبة الذكرى السادسة عشرة على إعادة تحقيق الوحدة اليمنية التي احتفلت القيادة السياسية بها في الحديدة هذا العام.

مساحة إعلانية